العلاقات الدبلوماسية بين الأيوبيين والإمبراطورية البيزنطية في عهد الناصر صلاح الدين

الدكتور فتحي سالم حميدي
جامعة الموصل/كلية العلوم الاسلامية

ملخص البحث

لم يكن السيف وحده هو العامل الحاسم في صنع النصر، وإنما كانت هناك وسائل وسبل أخرى يعتمد عليها ذوي الحنكة السياسية والعسكرية في تحقيق ما يصبون إليه ، فكانت الدبلوماسية احدها ، وكان الناصر صلاح الدين (٥٦٤-٥٨٩هـ/١١٦٩-١١٩٣م) ذلك القائد الفذ والسياسي المحنك الذي استخدم السيف في موضع والدبلوماسية في موضع أخر حسب ما تقتضيه الظروف ، وعلى الرغم من الحقد الدفين والعداء التاريخي الذي كانت تكنه الإمبراطورية البيزنطية للدولة العربية الإسلامية منذ نشأتها الأولى والذي استمر ما يقرب من ستة قرون ، فقد حتمت الظروف السياسية التي سادت المنطقة آنذاك على كلا الطرفين إتباع الوسائل الدبلوماسية للحفاظ على مصالحهما ، مما أدى إلى نشوء علاقات دبلوماسية بينهما خلال عهد صلاح الدين ، وسيتم التفصيل عنها في متن البحث .

العلاقات الدبلوماسية بين الأيوبيين والإمبراطورية البيزنطية في عهد الناصر صلاح الدين

لم يكن السيف وحده هو العامل الحاسم في صنع النصر، وإنما كانت هناك وسائل وسبل أخرى يعتمد عليها ذوي الحنكة السياسية والعسكرية في تحقيق ما يصبون إليه ، فكانت الدبلوماسية احدها ، وكان الناصر صلاح الدين (٥٦٤-٥٨٩هـ/١١٦٩-١١٩٣م) ذلك القائد الفذ والسياسي المحنك الذي استخدم السيف في موضع والدبلوماسية في موضع أخر حسب ما تقتضيه الظروف ، وعلى الرغم من الحقد الدفين والعداء التاريخي الذي كانت تكنه الإمبراطورية البيزنطية للدولة العربية الإسلامية منذ نشأتها الأولى واستمر ما يقرب من ستة قرون ، فقد حتمت الظروف السياسية التي سادت المنطقة آنذاك على كلا الطرفين إتباع الوسائل الدبلوماسية للحفاظ على مصالحها ، مما أدى إلى نشوء علاقات دبلوماسية بينهما خلال عهد صلاح الدين ، وسيتم التفصيل عنها في منتن البحث .

تزامن عهد الناصر صلاح الدين مع ثلاثة من الأباطرة البيزنطيين وهم الكسيوس كومنين الثاني (١١٨٠-١١٨٣)واندرونيكوس(١١٨٣-١١٨٥) واسحق انجيلوس (١١٨٥-١١٩٥م) الذين خالفوا سياسية أسلافهم ، ووجدوا في التحالف مع الناصر صلاح الدين خير سبيل للحفاظ على عروشهم ومناطق نفوذهم وتخليص إمبراطوريتهم من الضعف الذي انتابها بسبب أوضاعها الداخلية السيئة من ناحية والأخطار الخارجية من ناحية أخرى كالصليبيين الذين بدأت أعدادهم بالتزايد ، فهددوا العاصمة القسطنطينية ، وهذا ما كان يخشاه الأباطرة١ ، فضلاً عن الهجمات التي شنتها على أراضيهم كل من المجريين والصربيين والصقليين والنورمان [٢] .

وفي خضم هذه الأحداث التي عاشتها الإمبراطورية البيزنطية والتغيرات السياسية على الخارطة ، كان من الطبيعي أن يسعى أباطرتها إلى إيجاد نوع من توازن القوة بين القوى الإسلامية والصليبية المجاورة ، فلم تكن تقبل بانتصار ساحق للصليبيين على المسلمين في الشام ، على نحو يؤدي إلى زيادة قوتهم ، فتصبح المواجهة معهم أمرا محتوماً ، لذا فقد سعى الأباطرة الثلاثة السالفي الذكر إلى جعل جميع هذه القوى في حاجة دائمة لهم في أوقات الحرب والسلم من خلال لعبة توازن القوى التي نجحت فيها في أحيان عديدة ، ولتحقيق ذلك توجهوا إلى كسب الأيوبيين إلى جانبهم من خلال عقد التحالفات معهم [٣] .

تولى الإمبراطور الكسيوس الثاني كومنين الحكم في سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م قبل أن يبلغ سن الثالثة عشر من العمر ، وذلك حسب وصية والده بالحق الوراثي ، فأصبح تحت وصاية والدته ماريا [٤]، إلا أن شؤون الإمبراطورية وإدارة مفاصلها كانت بيد الكسيوس الحاجب ابن الأخ الأكبر للإمبراطور مانويل ، الذي اضطهد أبناء اندرونيكوس وأكابر أمراء الإمبراطورية ، وعاملهم بشكل مخزٍ [٥] ، وبما ان والدة الإمبراطور كانت أنطاكية ذات أصل فرنسي ، فإنها كانت ممقوته من قبل البيزنطيين بسبب كرههم لإمارة أنطاكية الصليبية أولاً ، ومغامراتها الرومانسية مع الكسيوس الحاجب [٦]، ونتيجة لهذا الغليان والحنق في الداخل والتهديدات الخارجية ، شعر الإمبراطور الكسيوس الثاني بالخطر الذي بدأ يهدد عرش الإمبراطورية ومناطق نفوذها ، فوجد في الناصر صلاح الدين ضالته المنشودة ، فأرسل إلى القاهرة سفارته الأولى في٥٧٧هـ/ ١١٨١م لعقد التحالف بينهما ، وتم التوقيع عليه وأطلق الإمبراطور الكسيوس الثاني سراح مائة وثمانين أسيرا مسلماً كجزء من الاتفاق [٧] ، وبذلك يكون الناصر صلاح الدين قد رتب نوعاً من الصلح ضمن من خلاله تحييد الإمبراطورية البيزنطية في صراعه مع الصليبيين وحرمانهم من أي إمدادات عبر الأراضي البيزنطية من ناحية [٨]، والتفرغ لتوحيد الجبهة الإسلامية للقضاء على الوجود الصليبي من ناحية أخرى [٩] وهذا ما حدث بالفعل اذ نجح الناصر

صلاح الدين في عقد الصلح مع أمراء المسلمين في حلب وغيرها وَحَّدَ بموجبه جهودهم ، واشترط عليهم الاشتراك معه في حروبه [١٠].

وبعد البحث والتمحيص في الروايات التاريخية التي تناولت هذا التحالف لم نجد تفصيلاً لشروطه التي أُبرمت بين الطرفين ، إذ لم ترد سوى إشارات بسيطة عن السفارة وتاريخها .

حدثت بعد هذا الاتفاق اضطرابات داخلية عمت الامبراطورية ، وكانت سبباً في مقتل والدة الإمبراطور الوصية على العرش وابنتها في سنة٥٧٨هـ/ ١١٨٢م خنقاً على يد اندرونيكوس ابن عم زوجها الإمبراطور مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) والمنافس الأقوى لولدها الكسيوس ، فتولى الوصاية على الإمبراطور القاصر للسنوات (٥٧٨-٥٧٩هـ/١١٨٢-١١٨٣م)، وفي خضم هذه الأحداث المضطربة التي كانت تعصف بالإمبراطورية بسبب سياسة اندرونيكوس الطائشة ومعاداته للغرب بشكل عام والصليبيين بشكل خاص[١١]، مما ألب ملوك اوربا عليه وزاد من حقدهم على الإمبراطورية البيزنطية [١٢] ، لاسيما بعد انقلابه على الإمبراطور القاصر وسمل عينيه وقتله ، وأبقى على أرملته الفرنسية التي اتخذها زوجة له بعد ذلك [١٣] واعتلى العرش في سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م ، ولم يكتف بذلك بل نكل بأبناء البيت الكومينيني وشردهم في مختلف البلاد [١٤].

أعجبت فكرة التحالف مع الناصر صلاح الدين الإمبراطور اندرونيكوس كثيراً ، فأرسل إليه لعقد تحالفٍ جديدٍ ، وإكمال ما بدأه الإمبراطور الكسيوس الثاني ، وفق ما أملته عليهم الظروف وما اضطرهم إليه الصليبيون منطلقا من قاعدة عدو عدوي صديقي مستغلا العداء المشترك للصليبيين من جهة[١٥] ، ومن جهة أخرى العلاقات الودية التي ربطته بالأمراء المسلمين أثناء لجوءه إلى دمشق بعد عزله عن إمارة قيليقيا بعد سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦١م في عهد نور الدين زنكي (٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦-١١٧٤) الذي عامله بكل احترام وتقدير [١٦].

لقد فصلت المصادر الإسلامية واللاتينية كثيرا في طبيعة الصراع الإسلامي – الصليبي من حيث الأسباب والنتائج ، لاسيما في عهد الناصر صلاح الدين .أما العداء الذي اخذ بالتفاقم بين كل من الإمبراطورية البيزنطية والصليبيين الذين نقضوا اتفاق القسطنطينية عند انطلاق الحملة الصليبية الأولى لاسيما بعد ما ارتكب رجالها مختلف أنواع السلب والنهب [١٧]، كما أن كراهية البيزنطيين للصليبيين اللاتين والايطاليين لسيطرتهم على المقدرات الاقتصادية للإمبراطورية البيزنطية ، أدت إلى التقارب البيزنطي- الإسلامي [١٨] فسعى البيزنطيون إلى البحث عن حليف قوي يمكنهم الاعتماد عليه في ضرب الصليبيين والقضاء عليهم [١٩] ، فوجدوا في الناصر صلاح الدين خير مثل في ذلك ، مما يسهل على الأباطرة البيزنطي استعادة ممتلكاتهم التي فقدوها في الأراضي الايطالية ، فأصبحوا أكثر عداء لجنوا وبيزا والبندقية ، فارتكب البيزنطيون مذبحة كبيرة بحق الرعايا اللاتين وخاصة الايطاليين المتواجدين في القسطنطينية في سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م [٢٠] وبلغ عدد من قتل منهم أربعة آلاف ، فضلاً عمن بيع كرقيق للأتراك المسلمين [٢١] ، مما زاد من عداء جنوا وبيزا وجعلهما تسعيان للانتقام من البيزنطيين [٢٢].

إن التجاء عدد من الأمراء البيزنطيين المعارضين لاندرونيكوس إلى البلدان المجاورة ، إذ وصل قسم منهم إلى مملكة بيت المقدس الصليبية وإمارة أنطاكية ، بسبب ما لاقوه من بطش أجج الموقف ضده ، فضلا عن التجاء قسم آخر وبضمنهم الأمير الكسيوس كومنين (ابن أخ الإمبراطور مانويل) إلى بلاط وليم الثاني ملك صقلية (٥٦٢-٥٨٠هـ/١١٦٦-١١٨٩م) طالبا المساعدة لإزاحة اندرونيكوس من عرش الإمبراطورية [٢٣] ، فوجد الملك وليم الثاني في ذلك فرصة مناسبة لضرب اندرونكوس والانتقام منه على ما اقترفه بحق اللاتين المتواجدين في القسطنطينية أولا ، وتحالف بيزنطة مع الناصر صلاح الدين ثانياً ، إذ عدها أفضل من خدم صلاح الدين واسهم في تزايد قوته على حساب الصليبيين في بلاد الشام [٢٤] ، فاعد قواته وجهزها بالأسلحة والمؤن وأرسلها في سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م٢٥ .

تمكن الملك وليم الثاني من تحقيق انتصارات باهرة على البيزنطيين استولى خلالها على عدد من كبريات مدنهم بعد القسطنطينية كتسالونيكا وبعض الجزر كدراخوم وكورفو [٢٦] ولم يتوقف عند هذا الحد بل هدد العاصمة البيزنطية نفسها [٢٧] ، وأمام هذا التهديد والخطر الذي داهمه لم يجد الإمبراطور اندرونيكوس بُدَّاً من اللجوء إلى الناصر صلاح الدين ، مستغلا موقف الناصر صلاح الدين تجاه وليم الثاني ملك صقلية الذي هاجم السواحل المصرية مرتين بمعية الصليبيين ، إذ كـــــــانت الأولى على دمياط في سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م [٢٨] ،والثانية على الإسكندرية في سنة ٥٧٥هـ/١١٧٤م ، إلا انه لم يحرز شيئاً بفضل تحصينات المدينة وقوتها العسكرية التي اهتم بها الناصر صلاح الدين[٢٩] ، فأرسل الإمبراطور اندرونيكوس سفارته الأولى إلى القاهرة في سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م يعرض عليه عقد تحالفٍ عسكري جديدٍ لضرب الصليبيين وتجريدهم من الأراضي التي استولوا عليها ، كما بعث برسالة مع سفيره ، وتضمنت مجموعة من الأسس الجديدة التي أضافها إلى أسس تحالف سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م [٣٠] ، كما حدد خلالها المهمة الخاصة بكلا الطرفين وأهمها :

١. أن يقدم الناصر صلاح الدين كل فروض الطاعة والولاء والتبعية للإمبراطور البيزنطي ، فضلاً عن تقديم المساعدات العسكرية من جند ومؤن متى ما طلب الإمبراطور ذلك .
٢. يكون هناك تعاون مشترك بين الطرفين لإنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام ، والقضاء على مملكة بيت المقدس الصليبية ، واقتسام مناطق نفوذها بينهما ، على أن تكون السيادة على القدس من نصيب الإمبراطورية البيزنطية ، فضلاً عن المنطقة الساحلية بشكل كامل باستثناء مدينة عسقلان .
٣. وفي حالة الاستيلاء على أسيا الصغرى والقضاء على جميع القوى السياسية فيها ، تكون السيادة فيها للإمبراطورية البيزنطية حتى مدينة أنطاكية ومملكة أرمينية الصغرى ٣١ .
٤. يقدم الإمبراطور البيزنطي الدعم والمساعدة العسكرية بالمؤن والسلاح والجند للناصر صلاح الدين في جهاده ضد الإمارات الصليبية ومملكة بيت المقدس في بلاد الشام [٣٢].

في الحقيقة لم يكتب النجاح لهذا المشروع الذي لم يرى النور لأسباب عدة وقفت حائلاً أمام تنفيذه ، كان في مقدمتها عدم التوافق بين ما قدمه الإمبراطور اندرونيكوس من بنود وبين الناصر صلاح الدين ، الذي عد الموافقة على مثل هذا التحالف المشروط أمرا مستحيلاً من منطلق إسلامي اولاً لما فيه من إذعان وتبعية لقوة غير إسلامية ، ومن موقع القوة ثانياً ، لاسيما ان نفوذ الناصر صلاح الدين وقوته كانت آخذة بالازدياد والتنامي بشكل سريع نتيجة للانتصارات التي حققها على الصليبيين ، اثر توحيد الجبهة الإسلامية تحت قيادته .

أما الأوضاع السياسية التي كانت تعيشها الإمبراطورية البيزنطية داخلياً وخارجياً فكانت سيئة للغاية ، فعلى الصعيد الداخلي اندلعت الثورات والتمردات ضد الإمبراطور اندرونيكوس في قبرص والقسطنطينية من اجل خلعه عن العرش بسبب ممارساته الوحشية ضد الشعب واستبداده بالسلطة ، فضلاً عن المعاملة السيئة للأمراء لاسيما ابناء البيت الكومنيني [٣٣] ، وعلى الصعيد الخارجي فقد كانت الإمبراطورية تواجه أخطار شتى كالهجمات النورمانية واللاتينية ٣٤ .

نجحت الثورة التي تزعمها اسحق انجيلوس في القسطنطينية سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م في خلع الإمبراطور اندرونيكوس وقتله على أيدي أبناء الشعب الناقمين عليه [٣٥] ، وتنصيب اسحق إمبراطورا على العرش البيزنطي لينتهي بهذا التاريخ حكم الأسرة الكومينية ويبتدئ حكم أسرة جديدة وهي اسر انجلوس [٣٦].

وعلى ما يبدو أن السبب الرئيس لعدم نجاح التحالف والتوقيع عليه هو خلع الإمبراطور اندرونيكوس عن العرش ومقتله قبل وصول أي رد من الناصر صلاح الدين الذي كان يتماهل في الرد على طلبات الإمبراطور لكسب الوقت .

أدرك الإمبراطور اسحق انجيلوس بعد اعتلائه للعرش في ٥٨١هـ/١١٨٥م ان مشروع التحالف بين الإمبراطورية البيزنطية والناصر صلاح الدين مشروعاً جيداً[٣٧]، وفيه خدمة لمصالح الإمبراطورية ويقوي من جبهتها في مواجهة الأخطار الخارجية ، لاسيما بعد ان بدأ الخطر النورماني يهدد عاصمته القسطنطينية ، فضلاً عن العلاقات الودية بين الطرفين ، والتي تأصلت منذ لجوئه مع شقيقه إلى بلاد الشام هرباً من بطش الإمبراطور اندرونيكوس ، لوقوفه ضده أثناء الثورة [٣٨] .

وصل رد الناصر صلاح الدين على سفارة الإمبراطور اندرونيكوس في عهد اسحق انجيلوس الذي انتهج ذات السياسية التي اتبعها سفله المخلوع في التحالف مع الأيوبيين ، وكان مضمونه أشبه بمعاهدة مقترحة أعدت من جديد ، رفض فيها الناصر ادعاءات بيزنطة بالسيادة ، وعلى الرغم من ذلك استقبل الإمبراطور اسحق الرد بكل ترحاب ، لاسيما انه كان بحاجة لحليف قوي بعد أن ازداد خطر النورمان على القسطنطينية [٣٩] .

وافق الإمبراطور اسحق انجيلوس على هذه الشروط ، ووقع على المعاهدة في سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م لإكمال ما بدأه الإمبراطور اندرونيكوس ، على الرغم من رفض الناصر لبعض بنود التحالف وتعديل البعض الآخر ، واستدعى شقيقه المقيم عند الناصر صلاح الدين ، ويعد تحول جميع الكنائس اللاتينية في الأراضي المقدسة إلى الشعائر اليونانية من النتائج المهمة لهذا التحالف بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية ، مما أدى إلى ازدياد الحقد الغربي [٤٠].

ما أن وصلت أخبار هذا التحالف إلى الصليبيين حتى بدأت المخاوف تراودهم ، واخذوا يتحينون الفرصة المناسبة لضرب الإمبراطور اسحق انجيلوس الذي عدوا موقفه هذا موقفاً متخاذلاً ، وما أن سنحت الفرصة لامير طرابلس الصليبي حتى استغلها ، إذ ألقى القبض على الكسيوس انجيلوس شقيق الإمبراطور بالقرب من مدينة عكا أثناء مغادرته إلى القسطنطينية ، ومن منطلق التحالف البيزنطي – الأيوبي أرسل الإمبراطور اسحق انجيلوس إلى الناصر صلاح الدين يطلب منه بذل ما في وسعه من مساعدة لإطلاق سراح شقيقه من الأسر الصليبي [٤١] .

كما أرسل الإمبراطور حملة عسكرية إلى جزيرة قبرص في سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م لإخماد التمرد والعصيان الذي نشب ضده [٤٢] ، في مدينة نيقوسيا وتزعمه احد أقاربه إلا أن الفشل كان من نصيب هذه الحملة [٤٣]، وتزامنت هذه

الحملة مع تحرك الناصر صلاح الدين ضد الصليبيين في المنطقة الساحلية ، ونجاحه في تحرير بيت المقدس ، فأطلق الناصر سراح الأمير الكسيوس شقيق الإمبراطور من الأسر الصليبي وأرسله إلى القاهرة [٤٤] .

وبعد النصر الذي أحرزه الناصر صلاح الدين في معركة حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ، أرسل سفارته الأولى إلى القسطنطينية للقاء الإمبراطور البيزنطي ، وإبلاغه بالنصر على الصليبيين واستعادة بيت المقدس من أيديهم ، كما أرسل إليه عدد من الهدايا القيمة بضمنها مائة وخمسون من الخيول مع خمسين سرجاً ، فضلاً عن كميات كبيرة من العطور والبهارات ، وإطلاق سراح مائة أسير بيزنطي ، فَسُرَّ الإمبراطور اسحق كثيراً بهذا السفارة والهدايا التي كانت تحملها له ، وظهر ذلك جلياً من خلال مظاهر التكريم التي استقبل بها سفارة الناصر صلاح الدين ، وجدد التحالف معه [٤٥] .

وقد أكد ابن شداد قيام الناصر صلاح بإرسال هذه السفارة إلى الإمبراطور البيزنطي على الرغم من عدم تحديده للتاريخ الدقيق ، وان سفارة الإمبراطور اسحق في سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م كانت رداً عليها ((في جواب رسول أنفذه السلطان إليه)) ٤٦ .

ورداً على مساعي الناصر صلاح الدين أرسل إليه الإمبراطور اسحق سفيرين في أواخر سنة ٥٨٤ه/١١٨٨م لتهنئته على تحرير بيت المقدس ، فضلاً عن التأكيد على نواياه الحسنة ، وموافقته على تجديد التحالف وراجياً في ذات الوقت من الناصر إعادة الأماكن المقدسة لرجال الدين الأرثوذكس[٤٧] ، وتقديم الشكر للناصر على الجهود التي بذلها لإطلاق سراح أخيه من أيدي الصليبيين وإرساله إلى القسطنطينية ، فضلاً عن إرسال الإمبراطور مع سفرائه مجموعة من الهدايا الفاخرة من بينها أربعة آلاف زردية وخمسة آلاف سيف وأربعة آلاف درع لدعمه في قتال الصليبيين مع أثنى عشر قطعة من القماش ، فضلاً عن أقداح من الذهب ومجموعة كبيرة من فراء السمور وعدد من الخلع والهدايا التي خصصها بأسماء أشقاء الناصر وأبنائه ، وحمل الرسولان معهما تاجاً مرصعاً بالذهب ، ورسالة إلى الناصر صلاح الدين فحواها((ابعث إليك بهذا التاج لأنك في رأيي تعتبر ملكاً،وأنت جدير بالملك ،وذلك بفضل مساعدتي وعون الله))[٤٨] .

بعد البحث والتدقيق في المصادر والمراجع لم نجد اصلاً للرواية التي أوردتها الأستاذة زبيدة محمد عطا حول إرسال الإمبراطور البيزنطي تاجاً للناصر صلاح الدين ، والأصح أن ما ارسله كان كتاباً مختوماً بالذهب عليه صورة الملك ، ومهما يكن ما أرسله الامبراطور ، فعلى ما يبدو انه هدف من وراء هذه الرسالة المختومة بالذهب أن يجعل منه تابعاً له ، باعتباره إمبراطورا وأعلى مكانة من الملوك وما هم إلا أتباع له .

عندما وصل الرسل إلى الناصر صلاح الدين في سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م استقبلهم وسط جو مهيب من التكريم والحفاوة ليظهر للإمبراطور مدى قوته ، ويثبت له بأنه ليس اقل شأناً ونفوذاً منه ، ووقع على تجديد التحالف المعقود بين الطرفين وبحضور عدد كبير من أمرائه وعلى رأسهم أشقائه وأبنائه [٤٩] ، وتبادلا معه أطراف الحديث ناقلين إليه شكر وامتنان الإمبراطور اسحق ، لما قدمه من مساعدة لإطلاق سراح شقيقه ، ونقلا إليه خبر استعداد الغرب لتجهيز حملة صليبية لاسترداد بيت المقدس[٥٠] بقيادة الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا [٥١] ، كما نقلا تأكيد الإمبراطور اسحق للناصر على انه صديقه الدائم وما عليه إلا أن يطمئن من جانبه ، وانه سيوافيه بأخبار الحملة الألمانية بالكامل [٥٢]

وعلى ما يبدو أن الناصر صلاح الدين لم يكن كثير الثقة بالإمبراطورية البيزنطية على الرغم من التحالف بين الطرفين ، إذ اخذ بالتحري عن صحة هذه الأخبار ، ليتبين من مدى مصداقية الرسل ، وما نقلاه من أخبار انطلاق الحملة الصليبية .

إن خير دليل على ما ذهبنا إليه ، وصول كتاب من ولده الظاهر صاحب حلب في مستهل شهر رمضان سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م يخبره فيه قائلا : ((انه قد صح أن ملك الألمان خرج من بلاده إلى القسطنطينية في جيش كبير مع عدته وبلغ عدده مئتان وستون الفاً)) [٥٣]، فضلاً عن وصول كتاب آخر من جاثليق الأرمن في قلعة الروم يخبر الناصر بأخبار الحملة الألمانية بقيادة الإمبراطور فردريك بربروسا[٥٤] ، كما أكدت رواية أخرى صحة ما ذهبنا إليه ، إذ تأكد من مصداقية الرسل البيزنطيين ، بعد أن علم بأخبار الحملة الألمانية عن طريق التجار البنادقة النازلين في الإسكندرية [٥٥] .

ونتيجة لهذه المستجدات شعر الناصر صلاح الدين بضرورة توثيق العلاقات والتعاون المشترك مع الإمبراطور البيزنطي لكسبه إلى جانبه ، وضمان عدم انحيازه إلى جانب الصليبيين ، ليقطع عليهم طريق الوصول إلى الأراضي الإسلامية عبر مناطق النفوذ البيزنطي.

أرسل الناصر سفارة مرافقة للسفارة البيزنطية عند عودتها إلى القسطنطينية للتفاوض مع الإمبراطور من اجل الحصول على تعهد بعدم السماح للصليبيين بالمرور عبر أراضيه[٥٦] ، كما حمل هذه السفارة بمجموعة من الهدايا القيمة للإمبراطور ليطمعه فيها ، ويشعره فيها بالفخامة ، وتضمنت الهدايا عشرون حصاناً لاتينياً وكميات كبيرة من العطور والبهارات وثلاثمائة عقد من الجواهر ومائة كيس من المسك وعشرون ألف بيزنطاً [٥٧] ، فضلاً عن إرساله فيلاً صغيرا وغزال وزرافة وخمسة فهود ، كما أرسل إليه بكميات كبيرة من الحبوب والدقيق المسموم ليقوم بتوزيعها على القوات

الصليبية القادمة من الغرب عبر الأراضي البيزنطية ، وتم الاتفاق بين الإمبراطور اسحق ورسل الناصر صلاح الدين الذين لاقوا حفاوة كبيرة وتكريماً لائقاً على ان يرسل الإمبراطور مائة سفينة حربية لدعم المسلمين ومساندتهم في حصار أنطاكيا [٥٨] ، كما وافق على التصدي لأي قوة صليبية تحاول المرور عبر أراضيه لضرب الأراضي الإسلامية [٥٩] فضلاً عن قيام الإمبراطور بإلقاء القبض على بعض اللاتين المتواجدين في القسطنطينية وطرد القسم الآخر [٦٠] ، ممن وعدوا بالاشتراك في الحملة الصليبية الثالثة ، لاسيما تجار البندقية والمرتزقة الصليبيين والعديد من الموظفين اللاتين [٦١] .

لم يكن الغرض من السفارات المتبادلة بين الطرفين سياسياً وعسكرياً فقط ، وإنما كان دينياً ، إذ تم الاتفاق من خلالها على العديد من الجوانب المتعلقة بالمسلمين والنصارى في المناطق التابعة لكلا الطرفين ، فقد اهتم الناصر صلاح الدين بالمحافظة على حقوق المسلمين في إقامة الشعائر الإسلامية بحرية تامة ، وأبدى اهتماماً كبيراً في إعادة بناء مسجد القسطنطينية ، فأرسل منبرا مع الهدايا وألزم الإمبراطور بوضعه في المسجد ، إلا انه لم يصل إلى القسطنطينية بسبب استيلاء القراصنة الجنوبيين على السفينة التي كانت تقله [٦٢] ، كما منح الناصر صلاح الدين بالمقابل جميع النصارى التابعين للبيزنطيين حق تأدية شعائرهم وطقوسهم الدينية بحرية تامة ، وهذا ما دأب عليه هو وغيره من الخلفاء والأمراء والقادة المسلمين ، فضلا عن الموافقة على طلب الإمبراطور البيزنطي في جعل الشعائر اليونانية الشعائر الرسمية في كنائس الأرض المقدسة [٦٣] ، كما أن هنالك العديد من الإشارات على وجود رسل تابعين للناصر صلاح الدين في القسطنطينية أثناء حملة الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م [٦٤] .

في الحقيقة لم تحدد المصادر والمراجع هل ان هذه السفارة جديدة أم إنها سفارة سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م ذاتها واستمرت حتى هذا التاريخ ، ومهما يكن التاريخ فان الحدث المهم الذي جرى في أثناء تواجدها في القسطنطينية ، هو قيام الإمبراطور اسحق بسجن أعضاء السفارة الألمانية التي أرسلها الإمبراطور فردريك بربروسا إلى البلاط البيزنطي لإعلام اسحق انجيلوس بأمر انطلاق الحملة [٦٥] ، فضلاً عن مصادرته لكل ما معهم من خيول وأموال وأمتعة ، وأرسلها إلى الناصر صلاح الدين مع رسولين بيزنطيين لإثبات موقفه والتزامه بالتحالف المعقود بين الطرفين [٦٦] ، وأضاف شرط آخر إلى شروط التحالف السابقة ، وهو القيام بهجوم مشترك على جزيرة قبرص وسلاجقة الروم وأرمينية الصغرى وأنطاكيا ، إلا إن الناصر رفض الشرط الأخير [٦٧] .

إن هذا التصرف من لدن الإمبراطور اسحق تجاه السفارة الألمانية ، لاسيما أثناء تواجد السفارة التي أرسلها الناصر صلاح الدين يدفعنا إلى الاعتقاد بأحد الأمرين ، إما أن يكون هذا الإجراء بطلب من السفارة الأيوبية ، أو أن يكون تصرفاً شخصياً من لدن الإمبراطور ، والأرجح أن الاعتقاد الثاني هو الاصوب ، فليس من المعقول أن يخضع الإمبراطور لطلب السفارة الأيوبية وهو الذي يعد نفسه إمبراطورا وخليفة لله على الأرض وما جميع الملوك إلا تابعين له ، بل قد يكون تصرفه هذا من باب كسب الناصر صلاح الدين إلى جانبه كحليف بعد أن شعر بمدى الحقد الغربي على إمبراطوريته .

لقد كان الناصر صلاح الدين دبلوماسياً عبقرياً ، استخدم سياسةً مزج فيها بين القوة العسكرية والمرونة السياسية والدعاية ، فضلاً عن التخطيط الجيد لكل تحركاته [٦٨] ، فلم يكن متسرعاً في اتخاذ القرارات والموافقة على عقد الهدن والتحالفات ، إلا بعد دراستها بروية والتأكد مما تحققه من فوائد تخدم الدين والأمة ، واستخدم أسلوب التسويف والمماطلة في كثير من الأحيان خاصة مع القوى التي لا يثق بها كثيراً ، وهذا ما اعتمده مع الإمبراطور البيزنطي ، اذ لم يرسل إليه جواباً صريحاً على طلباته ، فانه كان يرفض بعضها رفضاً قاطعاً ، لاسيما الاشتراك في حملة لمهاجمة سلاجقة الروم أو منحه الإشراف على مدينة القدس والمدن الساحلية ، اذا ما تم تحريرها من الاحتلال الصليبي [٦٩] ، وسعياً من الإمبراطور لكسب الناصر صلاح الدين إلى جانبه ولتقوية عرى الصداقة والتحالف عمد إلى الطلب منه بإرسال مجموعة من العلماء والفقهاء مع منبر جديد لمسجد القسطنطينية بدلاً من الذي استولى عليه القراصنة الجنويون لإقامة الخطبة فيه للخلافة العباسية [٧٠] ، وما طلب الإمبراطور هذا ؛ إلا لانه كان مدركاً تماماً بان الناصر صلاح الدين سيسر بهذا الطلب وسيوافق عليه بلا تردد ، كما انه يعد إثبات على حسن نيته والتزماً بالتحالف المعقود بينهما .

أرسل الناصر صلاح الدين في السنة ذاتها مجموعة من الفقهاء والقراء والمؤذنين وعلى رأسهم إماما حاملين معهم ، المنبر الذي طلبه الإمبراطور اسحق ، فاستقبل الوفد ببالغ الاحترام والتقدير ، ومبدياً كل مظاهر الحفاوة والتكريم ، وألقيت من على هذا المنبر في القسطنطينية أول خطبة باسم الخليفة العباسي ، وحضرها عدد كبير من التجار والأسرى المسلمين والمسافرين إليها [٧١] .

توفي احد رسل الإمبراطور في القاهرة سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م ، فأرسل الناصر صلاح الدين رسالة إلى الإمبراطور اسحق يعلمه بوفاته، فأرسل الإمبراطور رسولاً آخر بدلاً عنه لتتم السفارة انجاز ما كلفها به [٧٢] ، وعلى الرغم من عدم تقديم الناصر لجواب صريح ومباشر لطلبات الإمبراطور الآنفة الذكر ، إلا أن الأخير لم ييأس واستمر في الإلحاح

على طلباته ، لاسيما انه كان تحت ضغوط عسكرية من جانب الإمبراطور فردريك بربروسا الذي انطلق بحملة عسكرية داخل مناطق نفوذ الإمبراطورية البيزنطية أثناء توجهه إلى بلاد الشام [٧٣] .

أدرك الإمبراطور اسحق خطورة الموقف على الرغم من المقاومة التي أبداها للجيوش الصليبية ، من خلال ما قام به من قطع الميرة والمؤن عنهم[٧٤]، وإقامة شتى الموانع والعوائق في وجوههم ، وزودوَّهم بأَدِلاَّء قاموا بتضليلهم وأرشدوهم إلى طرق مدمرة شديدة الوعورة [٧٥] ولم يـــــــــــــسمح لأحد من رعيته بمساعدتهم ، مما أدى إلى وضعهم في موقف حرج ، فأجبروا على تغيير طريقهم إلى أسيا الصغرى عبر مضيق القسطنطينية [٧٦] ، ومما يثبت المخاوف التي كانت تراود الإمبراطور اسحق والضغوط العسكرية المفروضة عليه والتي هددت عاصمته القسطنطينية ، ما ورد في نص الرسائل المتكررة التي أرسلها إلى القاهرة حيث الناصر صلاح الدين ، والتي تناولت الحديث عن قدرات الحملة الصليبية الثالثة في الوصول إلى بلاد الشام ، ومدى المقاومة البيزنطية لهذه القوات ، وإيضاح ما ألحقه بهم من خسائر مادية وبشرية ، كما يؤكد الإمبراطور على وجوب جزم الناصر صلاح الدين وتحديد موقفه تجاه ما طلبه منه ، والوفاء بالوعود التي قطعها ، وإخباره بذلك عن طريق رسول يرسله بأسرع ما يمكن قبل تحرك الجيوش الألمانية [٦٨] .

وعلى ما يبدو أن ارسال الإمبراطور هذه الرسالة إلى الناصر صلاح الدين وطلبه الرد عليها بسرعة قبل أن يصل الإمبراطور فردريك ؛ كان يقصد من ورائها وفي مثل هذا الوقت تحديداً إدخال الرعب والخوف إلى قلب الناصر صلاح الدين من الحملة الألمانية ، وإجباره على الموافقة ، إلا أن الناصر صلاح الدين لم يعطه جواباً ثابتاً واتبع سياسته المعهودة والقائمة على التروي في اتخاذ مثل هكذا قرارات .

إن الموقف من لدن الناصر صلاح الدين جعل الإمبراطور البيزنطي في حيرة من أمره ، فشعر بالفشل إزاء مقاومة جيوش الإمبراطور فردريك وتدمير قواته ، مما اضطره إلى عقد الصلح مع الإمبراطور الألماني في سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م ، قدم خلاله الإمبراطور عدة تنازلات كموافقته على عبور القوات الألمانية من خلال الأراضي البيزنطية ، فضلاً عن تزويدها بالأعلاف والمؤن[٦٩]، كما تم استخدام السفن البيزنطية من قبل القوات الألمانية أثناء العبور إلى أسيا الصغرى [٧٠] .

أرسل الإمبراطور البيزنطي في ذات الوقت برسالة إلى الناصر صلاح الدين يؤكد له بان الخطبة للخليفة العباسي في القسطنطينية لازالت قائمة ، وانه لا يزال على عهده له ، وانه ما عقد هذا الصلح مع الإمبراطور الألماني عن قدرة ، وإنما مرغماً عليه ، وانه سيبذل كل ما في وسعه من اجل خداع الجيش الألمان وإضعافه ، قبل وصوله إلى بلاد الشام [٧١] ، وبعد الإلحاح الشديد من قبل الإمبراطور البيزنطي اضطر الناصر صلاح الدين إلى إرسال سفارة في السنة ذاتها ، وفقاً لرغبة الإمبراطور اسحق ، الا ان هذه السفارة لا تعني موافقة الناصر صلاح الدين على طلباته٧٢ .

بعد فشل الحملة الألمانية بسبب غرق الإمبراطور فردريك في أرمينية الصغرى في سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م وتفرق الجيوش الألمانية تولى ولده العرش الألماني وقيادة ما تبقى من رجال الحملة [٧٣]سعى الإمبراطور اسحق إلى كسب تأييد الناصر صلاح الدين [٧٤] ، فأرسل في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١ سفارة جديدة تحمل رسالة للناصر صلاح الدين مع هدايا فاخرة ، يشرح فيها مدى ما بذله من جهود من اجل الوقوف إلى جانب المسلمين في إيقاف الزحف الصليبي ، إلا أن الناصر كان يدرك تماماً ان عمله هذا لم يكن بهدف حماية المسلمين ، وإنما من اجل حماية مناطق نفوذه من خطرهم ، ووفقاً لما أوردته المصادر الإسلامية من روايات تاريخية فان الناصر صلاح الدين كان رافضاً للكثير من الطلبات البيزنطية على الرغم من عدم إبدائه ذلك بشكل مباشر ، لاسيما الإشراف على بيت المقدس ، ومهاجمة سلاجقة الروم [٧٥] .

كرر الإمبراطور اسحق المحاولة مرة أخرى في سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م وأرسل سفارةً لتجديد التحالف مع الناصر صلاح الدين أثناء تواجده في بيت المقدس ، فاستقبلها لمعرفة ما إذا استجد شيء في الأمر ، إلا انه أدرك بعد اللقاء إنها تهدف إلى تحقيق نفس المطالب التي كان يرمي الإمبراطور إلى تحقيقها في السفارات السابقة ، إلا انه التمس في هذه المرة من الناصر صلاح الدين أن يعيد للنصارى الأرثوذكس السيطرة التامة على الكنيسة الأرثوذكسية التي كانوا يملكونها في العهد الفاطمي[٧٦] ، وان يمنحه الصليب المقدس الذي غنمه أثناء فتح بيت المقدس ، إلا أن الناصر صلاح الدين رفض إعطائه إياه ، وأخبره أن تمارا (٥٨٠-٦٠٩هـ/١١٨٤-١٢١٢م) ملكة الكرج تقدمت إليه بذات الطلب ، ودفعت له مبلغ عشرين ألف دينار إلا انه رفض طلبها [٧٧] وتذرع بذلك الرفض انه لا يريد ان يكون لمذهب من المذاهب النصـــرانية السيادة على هذا المكان [٧٨] .

وعلى الرغم من رفض صلاح الدين لشروط هذا التحالف بشكل غير مباشر من خلال إتباع أسلوبه المعهود كما في المرات السابقة ، ولم يعطه جواباً قاطعاً بذلك ، إلا انه أرسل رسولاً بصحبة الرسول البيزنطي عند عودته إلى القسطنطينية عبر البحر المتوسط في سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م[٧٩] ، لكسب الوقت مع الإمبراطور تحت ذريعة مراجعة الشروط ودراستها ، كما أرسل إليه بهدايا ثمينة تضمن خيول وأنواع مختلفة من الحيوانات والسروج ، وأثناء إبحار

السفيران الأيوبي والبيزنطي إلى القسطنطينية على سفينة تعود لأحد البنادقة ، تم السطو عليها من قبل القراصنة الجنويون والبيازنة ، وقتلوا السفيران وسلبوا ما في السفينة من بضائع وأمتعة ، وكان هذا آخر اتصال دبلوماسي بين الأيوبيين والإمبراطورية البيزنطية في عهد الناصر صلاح الدين الذي كان يدرك المطامع التي يسعى الإمبراطور البيزنطي إلى تحقيقها من وراء صداقته له والتحالف معه ، كما أن الإمبراطور البيزنطي أحس في نهاية الأمر أن الناصر صلاح الدين كان يسعى إلى ضرب القوى النصرانية بعضها بالبعض الآخر، أو تحييد الإمبراطورية على اقل تقدير ، فضلاً عن سعيه إلى كسب الوقت لاتخاذ الاستعدادات اللازمة للتصدي لأي خطر خارجي يهدد الأراضي الإسلامية[٨٠] .

لم يكن التحالف المعقود بين الناصر صلاح الدين والإمبراطور البيزنطي تحالفاً ملموسا بالمعنى الحقيقي بقدر ما هي وعود من كلا الطرفين ، إذا لم تتم الموافقة على بنوده بشكل كامل بسبب تباطؤ الناصر في الرد والموافقة المباشرة على ما طلبه الأباطرة البيزنطيين ، وعلى الرغم من ذلك فقد كان لهذا الاتصال والسفارات المتبادلة نتائج ايجابية على الجانب الإسلامي ، وسلبية في ذات الوقت على الجانب البيزنطي ومنها :

١. تقاطع الإمبراطورية البيزنطية مع الغرب الأوربي بسبب موقفها المعادي للصليبيين في الشرق واتصالها المباشر بالناصر صلاح الدين ، ذلك الند القوي للإمارات الصليبية في بلاد الشام ، والوقوف إلى جانبه في إعاقة تقدم الحملة الصليبية الثالثة بقيادة الإمبراطور فردريك بربروسا من خلال الإغارة عليها وعدم تقديم أي معونة لها ، فضلاً عن التعهد له بالتصدي لأي عمل معادي للمسلمين .
٢. لقد كان للنتيجة الأولى أثرها في تقوية جبهة المسلمين وإضعاف القوة الصليبية وإنهاكها ، مما سهل على الناصر صلاح الدين تحرير بيت المقدس من نير السيطرة الصليبية ، وإنهاء الوجود الصليبي فيه .
٣. إن السفارات المتبادلة والاتفاقات بين الطرفين واتخاذ الإمبراطورية البيزنطية موقفاً معادياً للصليبيين أدى إلى انهيار سمعتها وتهاوي مكانتها بين الشعوب الأوربية ، لاسيما وإنهم كانوا يعدونها القوة النصرانية الكبرى والحامية للشعوب النصرانية والإمارات الصليبية في الشرق ، وكانت نتيجة تداعي مكانتها أن تحولت إلى قوة صغيرة مستهدفة من قبل الغرب ، وهذا ما حدث في الحملة الصليبية الرابعة

هوامش البحث

١. (١) محمد فريد ابو حديد ، صلاح الدين الأيوبي وعصره (القاهرة : ١٩٢٧م) ، ص ١٦١ ؛ هاملتون جب ، ظهور صلاح الدين ١١٦٩-١١٨٩، ترجمة : سعيد عبد المحسن ، ضمن تاريخ الحروب الصليبية ، تحرير:سعيد عبد الله البيشاوي ومحمد مؤنس عوض (القاهرة : ٢٠٠٤م) :ج١/ص٢٤١ .
٢. (١) ج.م.هسي ، العالم البيزنطي ، ترجمة : رأفت عبد الحميد ، ط٢ (القاهرة :١٩٨٢م) ، ص ١٩٩ .
٣. (١) محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب (القاهرة :٢٠٠٠م) ، ص٢٦١ ؛ جب ، ظهور صلاح الدين : ج١ / ص ٢٤١ .
٤. (١) قاسم عبدة قاسم ، في تاريخ الأيوبيين والمماليك (القاهرة : ٢٠٠٧م) ، ص٤٨ ؛ *A.A. Vasiliev , history of the Byzantine , p.378*

الكتاب منشور على شبكة الانترنيت على الموقع : WWW.Getpedia.com

٥. (١) وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، تحقيق : سهيل زكار (بيروت : ٢٠٠٣م) ج٢/ص ١٠٣٠-١٠٣٢ ؛ محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (القاهرة : ٢٠٠٠م) ، ص٣٣٤-٣٣٥.
٦. (١) الصوري ، المصدر نفسه :ج٢/ ص١٠٣١ ؛ أسمت غنيم ،الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية (الإسكندرية :١٩٨٢م) ، ص٤٠ ؛ للمزيد من التفاصيل عن ماريا الأنطاكية والأوضاع الداخلية التي سادت الإمبراطورية البيزنطية في سنوات وصايتها ينظر :. *Lynda Garland, Byzantine Empresses (London: 1999), pp.199-209.*

٧. (١) تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر المقريزي ، السلوك ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (بيروت : ١٩٩٧م):ج١/ص١٨٥ ؛ عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٣٣٤ .
٨. (١) كلود كاهن ، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية،ترجمة : احمد الشيخ (القاهرة : ١٩٩٥م) ، ص١٩١.
٩. (١) قاسم ، في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ص٥١.

١٠. (١) أبو العباس شمس الدين احمد ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس (بيروت : د/ت) : ج٧ / ص ١٦٨ ؛ جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة (بيروت : د/ت) : ج٦ / ص ٢٨ .

١١. (١) مارشال بلدوين ، اضمحلال وسقوط بيت المقدس ١١٧٤-١١٨٩ ، ترجمة : سعيد عبد الله البيشاوي ، ضمن تاريخ الحروب الصليبية ، تحرير: سعيد عبد الله البيشاوي ومحمد مؤنس عوض (القاهرة : ٢٠٠٤م) :ج١/ص٢٨١ .

١٢. (١) سهيل زكار ، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (دمشق : ١٩٩٥م) :ج٥/ ص٤٠٩-٤١٠. للمزيد من التفاصيل ينظر: . *Vasiliev, history of the Byzantine, p.370-376*

١٣. (١) الصوري ، تاريخ الحروب : ج٢/ ص١٠٣٢ ، ١٠٣٦ ؛ عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٣٣٥ ؛ هسي ، بيزنطة والحروب الصليبية ، ترجمة :عبد العزيز محمد عبد العزيز ، ضمن تاريخ الحروب الصليبية ، تحرير:سعيد عبد الله البيشاوي ومحمد مؤنس عوض (القاهرة : ٢٠٠٤م) :ج١/ص٣١٣.

١٤. (١) عزيز سوريال عطية ، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ، ترجمة: فيليب صابر ، ط٢ (القاهرة : د.ت) ، ص٦٥ ؛ غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ص٤٣ ؛ هسي ، العالم البيزنطي ، ص١٩٨ ؛ زكار ، الموسوعة الشاملة : ج٨/ص٢٦٥ .

١٥. (١) اسحق عبيد ، روما وبيزنطة(القاهرة :١٩٧٠م) ،ص٢٨٤ ؛ جب ، ظهور صلاح الدين ، ص٢٤١.

١٦. (١) الصوري ، تاريخ الحروب :ج٢/ص١٠٣٢ ؛ هسي ، بيزنطة والحروب الصليبية ، ص٣١٣ ؛ علي محمد الصلابي ، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس (بيروت :٢٠٠٨م) ، ص ٤٤٥.

١٧. (١) عوض ، الحروب الصليبية ، ص٢٦٠ ؛ حسنين محمد ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية (القاهرة : ١٩٨٣م) ،ص ٢١١ .

١٨. (١) الصلابي ، صلاح الدين الأيوبي ، ص ٤٤٥ .

١٩. (١) ميخائيل زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ترجمة : الياس فرح (موسكو :١٩٨٦م) ، ص٢٠٢ .

٢٠. (١) أسد رستم ، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب (بيروت : ١٩٥٦م) :ج٢/ص١٦٠ ؛ ستيفن رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ط٢ ، تحقيق : عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة :١٩٩٧م) ، ص٥٤ ، عطية ، الحروب الصليبية ، ص ٦٥ .

٢١. (١) ادوارد جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، ترجمة : محمد سليم سالم (القاهرة :د.ت) : ج٣/ص٢٠٥ ؛ عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى (دمشق :١٩٨٠م) ، ص٢٧١ .

٢٢. (١) رستم ، الروم :ج٢/ص١٦٠ ؛ رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ص٥٤ ، عطية ، الحروب الصليبية، ص ٦٥ *Vasiliev, history of the Byzantine, p.378.*

٢٣. (١) عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية ، ص٣٣٦ ؛ زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ٢٧٧-٢٨١ *Vasiliev, history of the Byzantine, p.378.*

٢٤. (١) *Paul Magdalino, The empire of the Komnenoi (1118–1204)p. 627, in the Cambridge history of the Byzantine c.500–1492 , Edited by Jonathan Shepard (Cambridge : 2008) : part II/p.649 .*

٢٥. (١) أبو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكناني الأندلسي، رحلة ابن جبير،تحقيق:محمد مصطفى زيادة (بيروت : د.ت) ، ٢٣٣-٢٣٤ ؛ للمزيد من التفاصيل عن بطش الإمبراطور اندرونيكوس باللاتين وتوجه وليم الثاني ملك صقلية بحملته الانتقامية إلى القسطنطينية ينظر:غنيم ، الحملة الصليبية الرابعة ، ٤٣-٤٦.

٢٦. (١) هسي ، بيزنطة والحروب الصليبية ، ص٣١٤ ؛ زكار ، الموسوعة الشاملة :ج٥/ص٤١٠ ؛ زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص ٢٠٢ *Ian Heath , Byzantine Armies 1118-1461 (london:1995),p.4-5 ; Vasiliev , history of the Byzantine , p.378 .*

٢٧. (١) ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ط٢ ، تحقيق: عبدالله القاضي (بيروت : ١٤١٥هـ) : ج٩/ص٣٦٣ ؛ عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٣٣٦ .

٢٨. (١) ابن الأثير ، المصدر نفسه : ج ١٠ /ص٢٢ ؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، ط٢ (الكويت : ١٩٨٤) : ج٤/ص١٨٩ ؛ أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي ، مرآة الجنان وعبر اليقظان (القاهرة : ١٩٩٣م) : ج٣/ص٤٤٤ ؛ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ، تاريخ ابن خلدون ، ط٥ (بيروت: ١٩٨٤) : ج٤/ص١٠٤ ، ٢٤٤ .

٢٩. (١) عزيز احمد ، تاريخ صقلية الإسلامية ، ترجمة: أمين توفيق الطيبي (د.م : ١٩٨٠م) :، ص٧١ ؛ ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٣٥ ؛ صديق شيبوب ، معارك الإسكندرية (الإسكندرية : د/ت) ، ص ٨٥-٨٦ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي (الإسكندرية : ١٩٦١) ، ص٦٥ .

٣٠. (١) ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ؛ الصلابي ، صلاح الدين الأيوبي ، ص ٤٤٥.

٣١. (١) *Vasiliev, history of the Byzantine, p.378; Magdalino, The empire of the Komnenoi: part II/p.649.*

٣٢. (١) زبيدة محمد عطا ، الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ط٢(القاهرة :١٩٩٤م) ، ص٨٧ ؛ الصلابي ، صلاح الدين الأيوبي ، ص ٤٤٥ .

٣٣. (١) زكار ، الموسوعة الشاملة : ج٨/ص ٢٦٥-٢٦٦ ؛ رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ص٥٥ ، ٦٦ *Vasiliev, history of the Byzantine, p.378.*

٣٤. (١) زكار، المرجع نفسه : ج٨/ ص٢٨٦-٢٦٩ ؛ رنسيمان ، المرجع نفسه ، ص ٦٦ ؛ تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : السيد الباز العريني (بيروت : ١٩٩٧م) : مج٣/ق١/ص٣٤ .

٣٥. (١) زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ٢٨٤ ؛ ربيع ، دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص٢٣٧ .

٣٦. (١) محمد محمد مرسي الشيخ ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (الإسكندرية: ١٩٩٤م) ، ص ٣٨٠ ؛ عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص٣٣٦ .

٣٧. (١) جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية :ج٣/ص٢٠٧ ؛ زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص٢٩٠ .

٣٨. (١) وليم الصوري ، تاريخ الحروب :ج٢، ص١٠٣٢ .

٣٩. (١) ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٣٧ ؛ الصلابي ، صلاح الدين الأيوبي ، ص ٤٤٥ .

٤٠. (١) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية : مج٣/ق١/ص٣٤ -٣٥ *Magdalino, The Empire of the Komnenoi: part II/p.649.*

٤١. (١) ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٣٧ ؛ عبد المنعم الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب "العصر الأيوبي" (بيروت : د/ت) ، ص ٦٥.

٤٢. (١) رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ص ٥٥ ؛ بيترو اديوري ، قبرص والحروب الصليبية (ليماسول :١٩٩٧م) ، ص٢٢ .

٤٣. (١) احمد عتمان ، تاريخ قبرص (القاهرة :١٩٩٧م) ، ص١٤٨ .

٤٤. (١) ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٣٧؛ *Stanle Lane –Pool, Saladin and the fall of the kingdom of Jerusalem (london: 1926) , p. 214-218 .*

٤٥. (١)جمال الدين محمد بن محمد بن سالم ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : جمال الدين الشيال (القاهرة : ١٩٦٠م) :ج٢/ص٢٤٧.

٤٦. (١) بهاء الدين ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية تحقيق: جمال الدين الشيال (القاهرة : ١٩٦٤م) ، ص ١٣٢ .

٤٧. (١) عوض ، الحروب الصليبية ، ص ٢٢٨ ؛ بلدوين ، اضمحلال وسقوط بيت المقدس ، ص٢٨١ ؛ عبيد ، روما وبيزنطة ، ص ٢٨٨ .

٤٨. (١) عطا ، الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية ، ص٩٠.

٤٩. (١) شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن المقدسي المعروف بابي شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (القاهرة : ١٢٨٧ه) :ج٤/ص٢٢٠ ؛ *Vasiliev, history of the Byzantine, p.386.*

٥٠. (١) ابن الأثير ، الكامل :ج١٠/ص١٩٣ ؛ أبو شامة ،المصدر نفسه :ج٤/ص١١٤ .

٥١. (١) أرسل الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا رسالة إلى الإمبراطور البيزنطي للتفاوض معه بشأن مرور القوات الألمانية عبر الأراضي البيزنطية ، وبحكم الأوضاع التي كانت تعيشها ، اضطرت الأخيرة على الموافقة ، بعد أن اقسم الإمبراطور فردريك على عدم قيام قواته بأي أعمال عدوانية ، وان ليس لبيزنطة أن تخشى من مقاتليه ، إلا أن الإمبراطور اسحق لم يثق بوعوده ، فلجأ إلى مراسلة الناصر صلاح الدين . ينظر : ابو حديد ، صلاح الدين ، ص ١٦١ ؛ زابوروف ، الصليبيون في الشرق ،ص ٢٠٠ ، ٢٠٢ ؛ *Magdalino, The empire of the Komnenoi: part II/p.649-650.*

٥٢. (١)عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٣٤٠-٣٤١ ؛ عوض ، الحروب الصليبية ، ص٢٢٨ ؛ ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة ، ص ٢٤٠ .

٥٣. (١) أشار الأصفهاني إلى أن عدد الجيش الإمبراطور فردريك بلغ ثلاثة مئة ألف مقاتل ينظر : أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد ، الفتح القسي في الفتح القدسي (د.م : ٢٠٠٤م) ، ص١٧٩ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص١١٥ ؛ أبو شامة ، الروضتين :ج٤/ ص ١١١.

٥٤. (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٢٤-١٢٦ ؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق:عمر عبد السلام تدمرى (بيروت:١٩٨٧ م):ج٤١/ص ٤٩.

٥٥. (١) عفاف سيد صبرة ، العلاقات بين الشرق والغرب (القاهرة : ١٩٨٣م) ، ص٣٦ .

56. (1) *Vasiliev, history of the Byzantine, p.386.*

٥٧. (١) البيزنت والبيزنط :عملة ذهبية بيزنطية سميت بهذا الاسم نسبة إلى مدينة بيزنطة (العاصمة القسطنطينية) ، وكانت متداولة بكثرة في العصور الوسطى حتى منتصف القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي ، وهي تعادل ثلاثة ونصف غرام من الذهب . ينظر : جوزيف نسيم يوسف ، العدوان الصليبي على مصر "هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكو " ، ط٢ (بيروت:١٩٨١م) ، ص٢١٦ ، هامش (٢) .

٥٨. (١) *Grousset, A history des croisades (Paris: 1936): Vol 3 p. 13./*

٥٩. (١) هسي ، بيزنطة والحروب الصليبية ، ص ٣١٥ ، زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص ٢٠٣ . *Grousset, A history p. 13; Magdalino, The empire of the Komnenoi: part II/p.649./des croisades: Vol 3*

٦٠. (١) للمزيد من التفاصيل عن التواجد اللاتيني في القسطنطينية لاسيما في عهد الإمبراطور مانويل كومنيين (٥٣٨- ٥٧٦هـ/ ١١٤٣- ١١٨٠م) ينظر: الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية :ج٢ ص ١٠٣٠-١٠٣١، ١٠٣٣ .

٦١. (١) ابن الأثير ، الكامل : ج١٢/ص٣٧ ؛ زكار ، الموسوعة الشاملة : ج٥/ص٤١٠ .

٦٢. (١) عبيد ، روما وبيزنطة ، ص ٢٨٨ ؛ جب ، ظهور صلاح الدين ، ص٢٤١ .
٦٣. (١) ابو شامة ، الروضتين: ج٤ / ٢٢٠ ؛ ارنست باركر ، الحروب الصليبية ، ترجمة: السيد الباز العريني ، ط٢ (بيروت : د.ت) ، ص٨٨ .

64. (1)*Vasiliev , history of the Byzantine , p.386 ;*
والذي يدلل على وجود هؤلاء الرسل ما نقله السفراء الألمان من روايات إلى الإمبراطور فردريك عندما أطلق سراحهم وكيف احتجزوا في الأسر ونهبت أموالهم واخضعوا للمهانة والسخرية بان اغتصبت خيولهم وقدمت هدية لسفراء صلاح الدين في العاصمة القسطنطينية . ينظر : عبيد ، روما وبيزنطة ، ص ٢٩٠ .

٦٥. (١) احمد الشامي ، صلاح الدين والصليبيون (القاهرة :١٩٩١م) ، ص ١٥٠ ؛ قاسم ، في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ص ٦٧ ؛ زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص٢٠٢ .
٦٦. (١) عبيد ، روما وبيزنطة ، ص٢٨٩ .
٦٧. (١) أبو شامة ، الروضتين : ج٤ / ٢١٧-٢١٨ ؛ رنسيمان ، تاريخ الحروب : مج٣/ق١/ص١٤١ .
٦٨. (١) قاسم ، في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ص٥٦ .
٦٩. (١)أبو شامة : ج٤/ص٢١٨ ؛ رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية :ج٣/ص القاضي الفاضل
٧٠. (١) ابن ، شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٣٢ ؛ ابو شامة ، الروضتين : ج٤/ص٢١٨ ؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، البداية والنهاية (بيروت : د.ت) : ج١٢/٣٣٧ .
٧١. (١) ابن ، شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٣٢ ؛ أبو شامة ، المصدر نفسه : ج٤/ص٢١٨ ؛ ابن كثير، المصدر نفسه : ج١٢/٣٣٧ .
٧٢. (١) ابن شداد ، المصدر نفسه ، ص ١٣٢ .
٧٣. (١) للمزيد من التفاصيل عما اقترفته الجيوش الألماني من جرائم سلب ونهب وقتل وتدير للمدن والقرى ينظر : زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص ٢٠٣ .
٧٤. (١) الشامي ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى (القاهرة: ١٩٨٥م) ، ص٨٥ ؛ قاسم ، في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ص٦٨ .
٧٥. (١) زكار، الموسوعة الشاملة :ج ٣٩/ص١٦٥ ؛ زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص ٢٠٢-٢٠٣ .
٧٦. (١) ابن الاثير ، الكامل : ج١٠/ص١٩٤ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : ج٥/ص٣٧٤ .
٧٧. (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص١٣٢ ؛ ابو شامة ، الروضتين : ج٢/١٥٩ .
٧٨. (١) هسي ، بيزنطة والحروب الصليبية ، ص ٣١٦ ؛ زابوروف ، الصليبيون الشرق ، ص ٢٠٤ . *Vasiliev, history of the Byzantine, p.387.*
٧٩. (١) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية: مج٣/ق١/ص٣٧ ؛ عمران ، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩١م (القاهرة: ٢٠٠٠م) ، ص١٤٩ .
٨٠. (١) أبو شامة ، الروضتين : ج٤/ص١١٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية : ج١٢/ ص٣٣٧ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : ج٥/٣٧٤
٨١. (١) أبو شامة ، الروضتين : ج٤/ص١١٤ .
٨٢. (١) عبد الله بن إبراهيم الحجاري وآخرون ، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة "القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب" ، تحقيق : حسين نصار (القاهرة : ١٩٧٠م) ، ص ١٦٤ .
٨٣. (١) عوض ، الحروب الصليبية ، ص ٢٢٩ ؛ *Timothy E. Gregory , A History of Byzantium (oxford : 2005) ,p. 273 .*

84. (1) *Grousset, A history des croisades: III, p. 12-13.*

٨٥. (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٠٩ ؛ رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية : مج٣/ق١/ص١٤١ .
٨٦. (١) الحجاري ، النجوم الزاهرة في حلى حضرة ، ص ١٧١ ؛ يوشع براور ، عالم الصليبيين ، ترجمة : قاسم عبدة قاسم ومحمد خليفة حسن (القاهرة : ١٩٩٩م) ، ص ٨٥ ؛ *V. Minorsky, Studies In Caucasian History (London: 1953), P. 130.*
٨٧. (١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٠٩ ؛ رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية: مج٣/ق١/ص١٤١.
٨٨. (١)ابن شداد ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ .
٨٩. (١) عطا ، الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية ، ص٩٠-٩٢ .

Diplomatic relationships between Byzantine Empire of Al-Ayobians In the age of Al-Nasir Salah Al-deen

Sword has not been the only conclusive factor in achieving victory. But, there have many devices and means which politicians and militias depend on in achieving victory. Diplomacy is one of these means . So Al-Nasir Salah Al- Deen (564-589A.H/1179-

1193A.D) that unique leader and Wise politician who has used sword in apposition and Diplomacy in other position according to the conditions. In spite of hidden hatred and historical enemy Which Byzantine Empire has toward Islamic Arabic Nation since its first establishment and continues for nearly six centuries. Circumstances that have dominated the area required following diplomatic means to keep their benefits Which lead to the raising of diplomatic relationships between them in the age of Salad Al-Deen .And this Would be detailed in the body of this paper .